عبد العزيز بن موسى بن نصير اللخمي (١)

فاتح شطر الاندلس

اللواء الركن محمود شيت خطاب

(عضو المجمع)



فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الاول ـ المجلد الاربعون

١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م

عبد العزيز بن موسى بن نُصَير اللَّخمي (١)

فاتح شطر الاندلس

اللواء الركن محمود شيت خطاب

(عضــو المجمع)

نسبه وايامه الاولى

هو عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر بن عبد الرحمن بن زيد (٢) من بني لَخْم (٣) ، ويقال إنّه مولى لَخْم (٤) ، وقيل : إنّه من أراشَة من بَلِيّ (٥) ، وقيل : من بَكْر بن وائل (٦) ، ويذكر أولاده أنّه من بكر بن وائل ، وغيرهم يقول : إنّه مولى (٧) .

---

(١) ورد اسم ابيه : موسى بن نصير اللخمي في المعارف (٥٧٠) واليعقوبي (٢٢/٣) والبداية والنهاية (١٧١/٩) ورياض النفوس (٧٧/١) . ولخم : هو مالك بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد ، انظر جمهرة انساب العرب (٤٢٢) ، وهم من بنى سعد العشيرة بن مذحج من سبأ ، انظر جمهرة انساب العرب (٤١٠ ــ ٤٢٢) ، وانظر بطون لخم في جمهرة انساب العرب (٤٧٧) .

(٢) البيان المغرب (٣٢/١) .

(٣) بغية الملتمس (٤٥٧) ونفح الطيب (٢٥٤/١) وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس (١١٤/٢) والنجوم الزاهرة (٢٣٥/١) .

(٤) بغية الملتمس (٤٥٧) وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس (١٤٤/٢) وجذوة المقتبس (٣١٧) ووفيات الاعيان (٤٠٢/٤) والولاة والقضاة (٥٢) .

(٥) البلاذرى (٢٤٨) ، وأراشة بن عبيلة بن قسميل بن فران بن بلى بن عمرو ابن الحافى بن قضاعة ، انظر التفاصيل في جمهرة انساب العرب (٤٤٢) .

(٦) نفح الطيب (٢٣٤/١) والبيان المغرب (٣٢/١) .

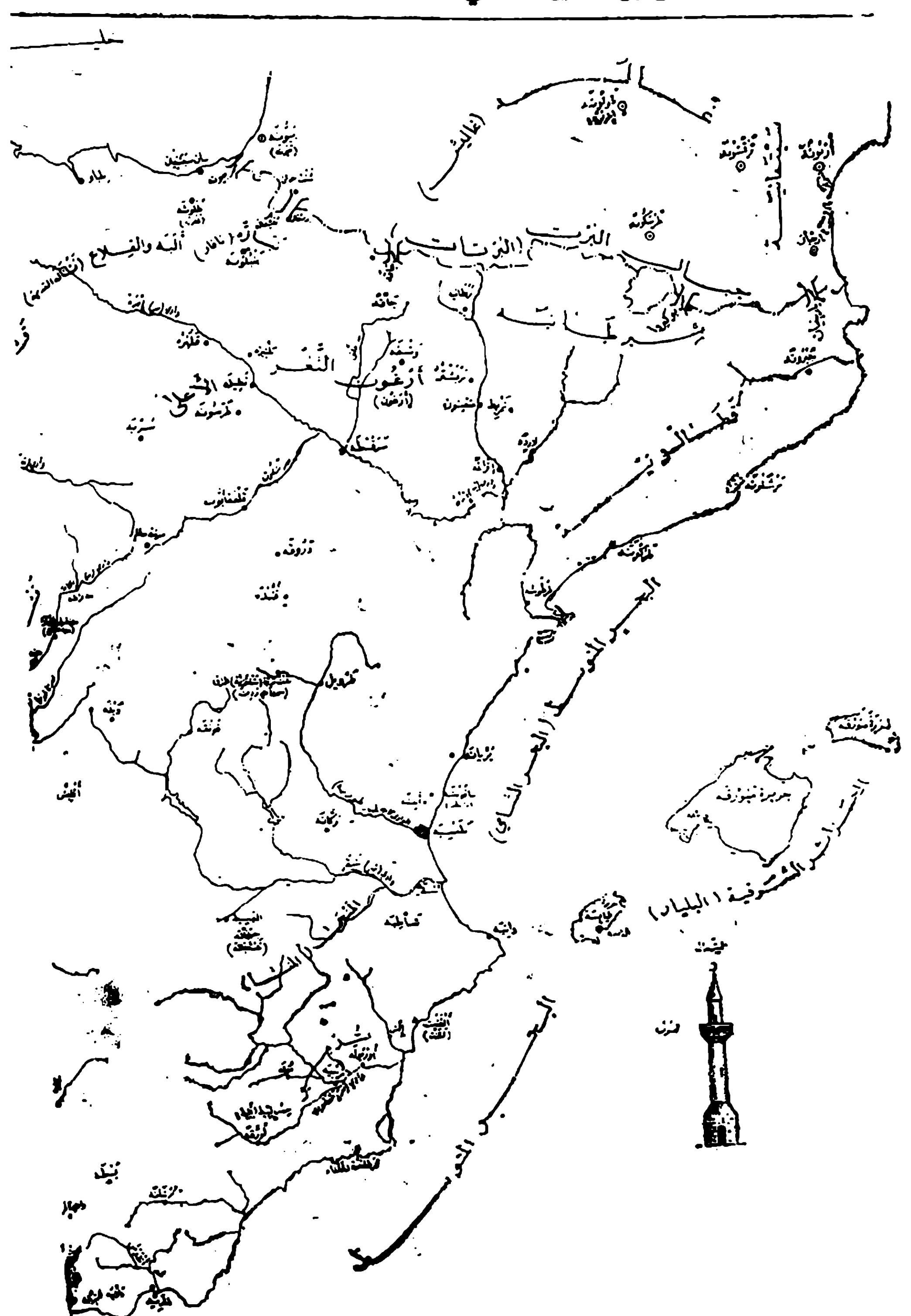
(٧) جمل فتوح الاسلام ــ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم الاندلسى (٣٤٤) .

وادّعاء أولاده واحفاده ، بأنه من بَكر بن وائِل ، بعد أن استقرّوا وملكوا وتأثلّوا ، في وقت كان فيه الفخر بالنسب سمة العصر ، عصر بني أميّة ، قد يؤخذ الدعاوة لهم بالنّسب المُفَضّل لا بمأخذ تقرير الواقع . كما أنّ ادّعاء مَن كان عليهم لا معهم بأنهم موالى ، كان نتيجة لتعالي أولاد عبد العزيز بالنسب المفتعل ، فهو ردّ فعل تلقائيّ لهذا التعالي الموهوم ، فلا يُؤخذ به ولا يُصَدَّق ، لأنّ دوافعه عاطفيّة لا واقعيّة .

إنّه عربيّ (٨) من بني لَخْم ، أبوه موسى بن نُصَيْر اللّخميّ (٩) فاتح الأندلس المشهور ، وكان والياً على إفْرِيقِية والمغرب من أواخر سنة خمس وثمانين الهجريّة (٧٠٤ م) أو أوائل سنة ست وثمانين الهجريّة (٧٠٥ م) ، كما شغل عدّة مناصب إدارية وقياديّة قبل ذلك ، تدل على أنّه كان قريباً من بني أُميّة ومَن يعمل معهم في الادارة والقيادة .

ولم يكن جَدُّه نُصَير ، بعيداً عن مراكز السّلطة في الادارة والقيادة أيضاً ، وأصله من سبايا بلدة عَيْن التّمر (١٠) الذين سباهم خالد بن الوليد سنة اثنتي عشرة الهجريّة (٦٣٣ م) ، فقد وجد خالد أربعين غلاماً يتعلّمون الانجيل . عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم وقال : « وما أنتم ؟ ! » ، فقالوا : «رُهُن ! » ، منهم نُصَيْر أبو موسى بن نُصَيْر ، فقسّمهم خالد في أهل البلاد (١١) ، فأصل عبدالعزيز من عين التّمر (١٢) . وقد اعتق نُصيراً

(٨) البلاذرى (٢٤٨) والنجوم الزاهرة (١/٢٣٥) .
(٩) انظر سيرته المفصلة في كتابنا ، قادة فتح المغرب العربي (١/٢٢١ – ٣٠٩) .
(١٠) عين التمر : بلدة قريبة من الانبار (مدينة الفلوجة على الفرات القريبة من بغداد في غربيها) غربي الكوفة ، بقربها موضع يقال له : شفاثا معروف اليوم . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٥٣) .
(١١) الطبري (٢/٥٧٧) وانظر ابن الاثير (٢/١٥١) .
(١٢) البداية والنهاية (٩/١٧١) .


جزيرة ميورقه
الجزائر الشرقية (البليار)

بعض بني أُميَّة ، فرجع إلى الشّام (١٣) ، ثم أصبح من حرس معاوية بن أبي سفيان (١٤) ، ثمّ أصبح على حرس معاوية ، (١٥) وعلى جيوشه (١٦) ، وكانت منزلته عند معاوية مكينة . ولما خرج معاوية لقتال عليّ بن أبي طالب ، لم يخرج معه نُصير ، فقال له معاوية : « ما منعك من الخروج معي ، ولي عندك يد لم تكافئني عليها ؟ » ، فقال : « لم يمكنني أن أشكرك بكفري مَنْ هو أولى بشكري منك ! » ، فقال : « ومَنْ هو ؟ » ، فقال : « الله عزّ وجلّ » ، فأطرق معاوية مليّاً ، ثمّ قال : « أستغفر الله » ، ورضي عنه (١٧) .

ولا نعلم متى وُلِد عبد العزيز بن موسى ، فالمصادر المتيسِّرة سكتت عن تاريخ مولده ، كما سكتت عن أيامه الأولى ، ولكنّا نستطيع أن نستنتج : كيف نشأ وترعرع واستوى على عوده شاباً يشقّ طريقه في الحياة ، بالمقارنة مع لِداته في عصره ، الذين عاشوا في بيئة مشابهة من الناحية الاجتماعية لبيئته العامة في مجتمعه العربيّ الاسلامي ، ولبيئته الخاصة في أسرته القريبة من بني أُميّة ذوي الجاه والسّلطة ، التي يتولى فيها أبوه موسى المراكز الإدارية والقيادية المرموقة ، والذي كان يتولى فيها جَدّه نُصَير المراكز الادارية والقيادية أيضاً ، فهو وأمثاله يُربّون تربية تفيد عقولهم بالعلم وتفيد أبدانهم بالتدريب العسكري ، ويخالطون العلماء والقادة والاداريين عن كثب ، فيتلقّون منهم عصارة تجاربهم في الحياة ، ويتعلّمون منهم كيف يواجهون المعضلات وكيف يجدون الحلول الناجعة لها . فاذا أصبحوا كفاية وعُمْراً قادرين على العطاء ، أُعطيت لهم الفُرص لابداء كفايتهم في ميدان الادارة أو في ميدان القيادة ،

---

(١٣) البلاذري (٢٤٨) ومعجم البلدان (٧/٢٦٧) .
(١٤) ابن خلدون (٤/١٨٧) .
(١٥) وفيات الاعيان (٤/٤٠٢) ونفح الطيب (١/٢٢٤) .
(١٦) نفح الطيب (١/٢٢٤) .

أو في الميدانين معاً ، فأما الزّبَد فيذهب جُفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، فما كلّ مَن عمل في الادارة لمع في الادارة ، ولا كلّ مَن عمل في القيادة أصبح قائداً فاتحا .

لقد نشأ عبدالعزيز وترعرع وشبّ في ظروف ملائمة كلّ الملاءمة لاستكمال مزاياه الشخصية ، فأبوه وجدّه من المقرّبين للبيت الأُمويّ المالك ، وظروف والده الادارية والقيادية بخاصة لا تخلو من مشاكل صعبة ، تُعين على التّعلم التّظري والتدريب العملي .

وكان التّعليم النّظريّ ، لاستيعاب العلوم المتيسِّرة السّائدة حينذاك ، ميسوراً لأبناء الاداريين والقادة الكبار ولغيرهم من الناس ، إذ كان العلماء وقتذاك يعتبرون التعليم والتّعلم من أجلّ العبادات . لذلك نشأ عبدالعزيز ليتعلّم علوم القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف ، ويدرس التاريخ والسِّيَر وأيام العرب قبل الاسلام وبعده ، ويُتقن علوم اللغة ويتلقّى فنون الآداب شعراً ونثرا ، ويتعلّم الحساب والهندسة وتقويم البلدان .

كما أنّ التدريب العمليّ بالممارسة ، كان ميسوراً له في القضايا السياسية والادارية والعسكرية ، فهو إلى جانب والده الذي كان على المغرب وافريقية إدارياً وقائداً ، وعلى الأندلس إدارياً وفاتحاً ، يسمع ويرى كيف تُعطى القرارات الخطيرة وكيف تُعالج المشاكل الصّعبة .

كما تدرّب عملياً على الفنون العسكريّة : ركوب الخيل ، والرّمي بالسّهام ، والضّرب بالسيوف ، والطعّن بالرِّماح ، والسباحة ، وتحمّل المشاق سيراً وجدّاً وجوعاً وعطشا ، وهو ما نُطلق عليه في المصطلحات العسكرية الحديثة : التّدريب العنيف .

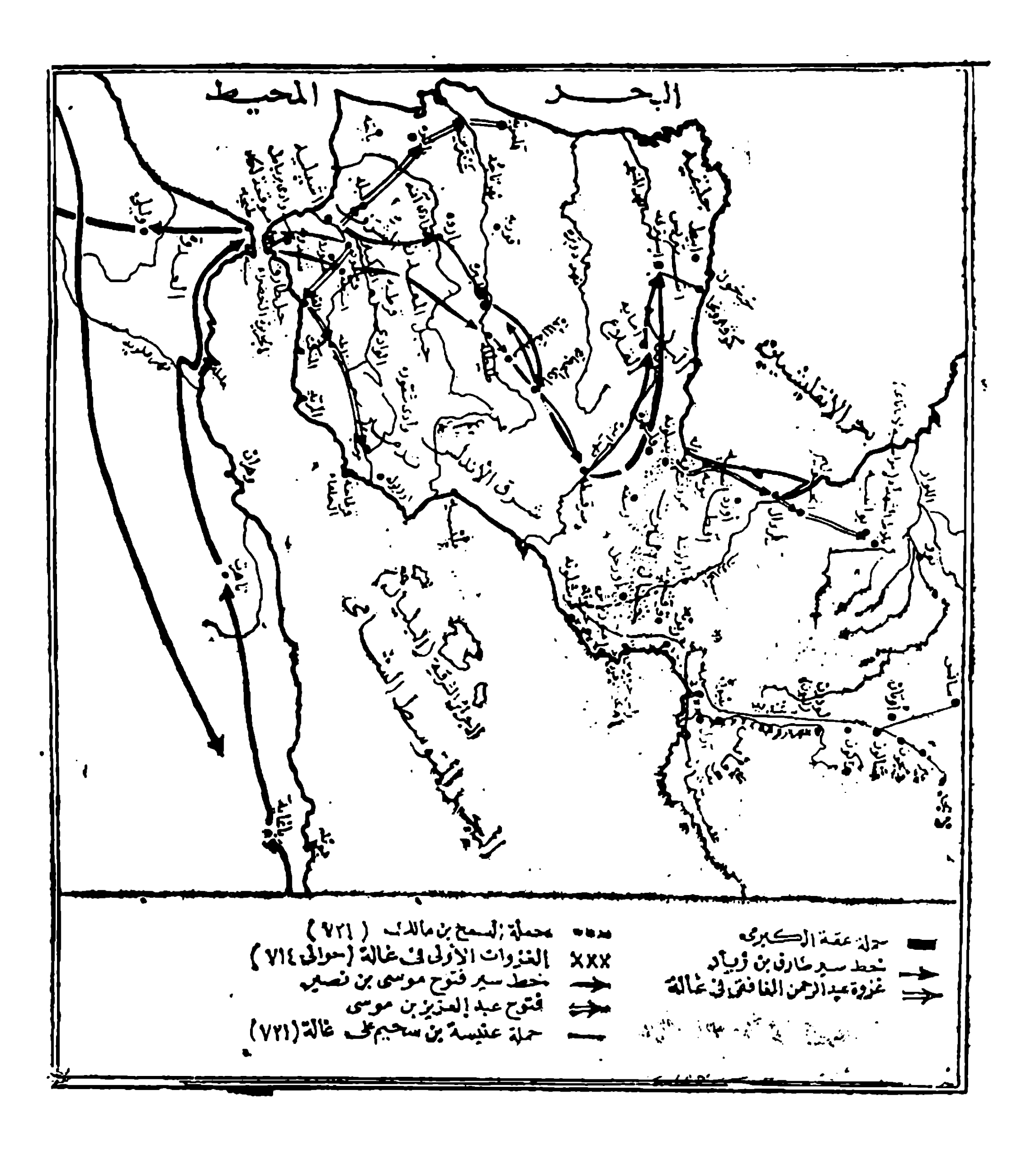
ولكن هذا التدريب العملي عسكرياً لا يكفي وحده ، لأنّه تدريب فَرْدِيّ ، فلابدّ من تلقّى التدريب الاجمالي ، وهو ممارسة الجهاد جندياً

وقائداً في ساحات القتال ، ليطبّق ما تعلّمه من تدريب فرديّ ، على القتال بصورة عمليّة ، وهذا ما نطلق عليه اليوم تعبير : تطعيم المعركة ، إذ لا فائدة من التدريب الفردي إلاّ إذ طُبّق عملياً في التدريب الاجمالي ، وأفضل أنواع التدريب الاجمالي هو القتال الفِعْليّ .

وكما تدرّب على الفنون العسكريّة العملية ، تدرّب كذلك على الفنون العسكرية النّظرية : أساليب القتال ، والقضايا التّعبويّة ، واختيار المعسكرات ، وطرق الدّفاع والهجوم والانسحاب والمطاردة ، ومعالجة الأمور العسكريّة في الميدان ، والقضايا الاداريّة . ويبدو لي أنّ هذه الفنون العسكرية النظرية لم تكن مكتوبة يومذاك في صفحات أو كتاب كما نعرفه اليوم ، بل كانت معروفة بالتجربة العمليّة ، يتلقاها أصحاب الرغبة فيها من الفتيان ، من أصحاب الخبرة فيها من المجاهدين والفرسان ؛ وكما كان كثير من الاداب والعلوم والفنون ، تُحفظ عن ظهر قلب ويلقّنها العالمون بها للمتعلمين ، كذلك كانت علوم العسكرية وآدابها وفنونها تحفظ عن ظهر قلب ، ويلقّنها العالمون بها الممارسون لها والمجرّبون . للمتعلّمين في المجال النظري والعملي ، وبهذا الشّكل كانت تسير أمور التّعليم والتدريب العسكريّين في القرن الأول الهجريّ ، قبل تدوين العسكرية العربيّة الاسلامية من بعد ذلك كما هو معروف .

وقد طبّق عبدالعزيز الفنون العسكريّة النظريّة عملياً في ميدان الجهاد . وبذلك جمع التدريب الفنيّ النظري والعملي . ووضع معلوماته العسكريّة النظريّة في حيّز التنفيذ .

ولعلّ مما زاد في فرصه تعليماً وتدريباً . هو تلقّي علومه وتدريباته في كنف والده القائد الاداريّ اللامع موسى بن نصير . وبخاصة بعد تولي موسى إفريقية والمغرب في اواخر سنة خمس وثمانين الهجريّة أو في أوائل سنة ست وثمانين الهجرية ، حيث شهد فتوح موسى في المغرب ، فلما عبر موسى


المحيط
البحر
بحر الإنقلشيين
شرق الأندلس
البحر المتوسط الشامي
حملة عقبة الكبرى
خط سير طارق بن زياد
غزوة عبد الرحمن الغافقي في غالة
حملة السمح بن مالك (٧٢١)
XXX الغزوات الأولى في غالة (حوالي ٧١٤)
خط سير فتوح موسى بن نصير
فتوح عبد العزيز بن موسى
حملة عنبسة بن سحيم على غالة (٧٢١)

إلى الأندلس في رمضان من سنة ثلاث وتسعين الهجريّة (٧١٢ م) ، ازدادت فُرص عبدالعزيز التعليمية والتدريبية عملياً في الفتوحات ، حتى إذا نضج وأصبح قادراً على تولي مهام القيادة ، ولاه أبوه موسى منصباً قيادياً ، فأضاف بقيادته فتحاً جديداً على فتوح طارق بن زياد وفتوح والده موسى ابن نصير .

وظلّ عبدالعزيز في كنف والده موسى الذي كان قائداً عاماً في الأندلس وإفريقية والمغرب ، وكان عبدالعزيز في تلك المدّة قائداً مرءوساً لوالده موسى ، فلما استُدعي موسى وطارق بن زياد من الأندلس إلى دمشق ، خلّف موسى ابنه عبدالعزيز على الأندلس (١٨) وكان ذلك في ذي الحجة من سنة خمس وتسعين الهجرية (١٩) (٧١٤م) ، فأصبح والياً على الأندلس وقائداً عاما على قوات المسلمين فيها (٢٠) .

ولم نجد لعبدالعزيز نشاطاً في القيادة او الادارة أيام كان مع أبيه في إفريقية والمغرب ، وظهر نشاطه في القيادة اولا بعد العبور الى الاندلس مع أبيه ، ثم ظهر نشاطه في القيادة والادارة معاً بعد رحيل والده موسى عن الاندلس ، مما يدلّنا على أنه كان في إفريقية والمغرب صغيراً على المناصب القيادية والادارية

(١٧) وفيات الاعيان (٤٠٢/٤) ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢٢٤/١ ـ ٢٢٥) .

(١٨) ابن الاثير (٢١٥/٤) ، وفي فتح المغرب (٢٨٠) : ان موسى خرج الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين ، ويحدد الرازى تاريخ خروجه من افريقية الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين ، انظر نفح الطيب (٢٥٩/١) وكذلك في النجوم الزاهرة (٢٦٦/١) ، وذكر عبدالملك بن حبيب أن موسى دخل الاندلس في جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ، انظر نفح الطيب (٢٣١/١) .

(١٩) نفح الطيب (٢٣٥/١) .

(٢٠) تاريخ افتتاح الاندلس (٣٦) واخبار مجموعة (١٩) والبيان المغرب (٣٠/٢) .

فأصبح في أيام عبوره الى الأندلس في عُمْر يناسب تولي المناصب الادارية والقيادية ، فمن المحتمل أن يكون عمره سنة ثلاث وتسعين الهجرية قد جاوز العشرين على الأقل .

لقد تهيّأ لعبدالعزيز : العلم المكتسب ، والتجربة العمليّة ، فآتت ثمراتها في مناصبه التي تولاّها قائداً وإدارياً .

الفاتح

١ ـ فتح اشبيلية(١) ثانية :

رافق عبدالعزيز أباه موسى بن نُصَيْر في عبوره إلى الأندلس ، وكان معه في فتوحه الأندلسيّة ، فلما كان موسى محاصراً مدينة مَارِدَة (٢٢) ، ثار عجم (٢٣) إشبيلية وارتدّوا وقاموا على مَن فيها من المسلمين . وتجالب فلّهم من مدينة لَبْلَة (٢٤) وبَاجَة ، وقتلوا من المسلمين نحو ثمانين

(٢١) اشبيلية : مدينة كبيرة عظيمة بالاندلس ، ليس بالاندلس أعظم منها ، وبها قلعة ملك الاندلس ، وهى قريبة من البحر ، وهى على شاطىء نهر ويطل عليها جبل الشرف ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٥٤) .

(٢٢) ماردة : كورة واسعة من نواحي الاندلس ، ولها حصون وقرى ، انظر معجم البلدان (٧/٣٦٠) .

(٢٣) عجم اشبيلية : هم القوط الغربيون ، وهم قسم من القوط ، وجماعة رئيســة من الجرمان ، انفصلوا من القوط الشرقيين في أوائل القرن الرابع الميلادى ، وقد توغلوا في شمالى اسبانيا ، ثم وسعوا ممتلكاتهم الاسبانية على حساب الوندال . وأخيرا أصبح تاريخ القوط الغربيين في صميمه هو تاريـخ اسبانيا ، واعتنقوا الكاثوليكية واندمجـوا مع الاسبان ، وكان اخر ملوكهم لذريق الذى هزمه طارق بن زياد ، انظـر الموسوعة العربية الميسرة (١٤٠٧ ـ ١٤٠٨) .

(٢٤) لبلة : قصبة كورة في الاندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية ، وهى شرقي أكشونية وغرب قرطبة ، بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية أربعة واربعون فرسخا ، وبينها وبين اشبيلية اثنان واربعون ميلا ، وهى برية بحرية ، غزيرة الفضائل والثمر والزروع والشجر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣١٩) .

رجلا (٢٥) . وأتى فلّ المسلمين موسى من إشبيلية وهو بماردة ، فلما أن فتح ماردة وجّه ابنه عبدالعزيز في جيش إلى إشبيلية ، ففتحها وقتل أهلها . ونهض عبدالعزيز إلى لَبْلَة وباجة ففتحهما أيضاً ، واستقامت الأمور وعلا الإسلام ، ثم انصرف عبدالعزيز إلى إشبيلية (٢٦) .

وقد استعاد عبدالعزيز فتح إشبيلية ثانية سنة اربع وتسعين الهجرية(٢٧) (٧١٣ م) ، وكان طارق قد فتحها لأول مرة صلحاً ، إذ صالحه أهلها على الجزية ، وذلك سنة اثنتين وتسعين الهجرية (٧١١ م) ، ولكنها انتقضت فاستعاد فتحها موسى بن نصير سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١٢ م) ، ثم استعاد فتحها من جديد عبدالعزيز بن موسى بن نصير سنة اربع وتسعين الهجرية (٧١٣ م) كما ذكرنا ذلك قبل قليل . وانتقاض القوط في إشبيلية وغيرها ، وشدّة مقاومتهم في كثير من المدن والمواضع ، دليل واضح على أن المسلمين الفاتحين لاقوا صعوبات عظيمة في فتح الأندلس ، وليس كما يزعم بعض المؤرخين الغربيين بخاصة ، أنّ فتحها كان نزهة من النزهات ، لا مشقّة فيها ولا صعوبة ، وكانت مغانم بدون مغارم !!

٢ . فتح جنوب وجنوب شرقي الأندلس :

وجّه موسى بن نُصير ابنيه عبدالعزيز وعبدالأعلى إلى جنوبي وجنوب شرقي الأندلس ، وكان هذا على الأغلب بعد استعادة فتح إشبيلية ولَبْلَة ، لأنّ أسبقية أهداف موسى في عبوره إلى الأندلس ، هي القضاء على مراكز المقاومة الرئيسة للقوط ، خشية أن تنجح في قطع خطوط مواصلات قوات

(٢٥) البيان المغرب (٢/٢٢) ونفح الطيب (١/٢٧٢) واخبار مجموعة (١٨) وابن الاثير (٤/٥٦٥) والنويري (٢٢/٢٩) .
(٢٦) البيان المغرب (٢/٢٢) ونفح الطيب (١/٢٧٢) .
(٢٧) اخبار مجموعة (١٨) وابن الاثير (٤/٥٦٥) والبيان المغرب (٢/١٥) والنويري (٢٢/٢٩) ونفح الطيب (١/٢٧١) .

طارق بن زياد ، التي تغلغلت بالعمق ، فاصبحت خطوط مواصلاتها مهدّدة بالقطع ، وكانت مراكز المقاومة القوطية الرئيسة في إشبيلية وماردة . فلما نجح موسى في تحقيق هذا الهدف ، ونجح في استعادة فتح إشبيلية ولَبْلَة وباجَة ، أصبح معنياً بتأمين جناح قوّات طارق بن زياد الأيمن ، فوجّه لتحقيق هذا الهدف ولديه ، عبدالعزيز وعبدالأعلى .

ولم يوجّهما لتحقيق هذا الهدف قبل ذلك ، كما تصوّر بعض المؤرخين الأجانب وتابعهم بعض مؤرخي العرب والمسلمين ، لأن موسى كان محتاجاً لقواته كافة للقضاء على المقاومة القوطية في إشبيلية ومارِدّة ، وقد وجدتنا ما عاناه موسى في استعادة فتح ماردة من عناء ووقت (٢٨) ، مما سوّغ له الاحتفاظ بكامل قوّاته ، وبأولاده الذين هم من أخلص معاونيه ومن أقرب من يشدّ ازره في الملمّات . فلما حقّق هذا الهدف ، استطاع أن يوجّه ابنه عبدالعزيز اولا ، لاستعادة فتح إشبيلية ولَبلة وباجة ، وهي من معارك استثمار الفوز ، ثم وجّه ولديهعبدالعزيز وعبدالأعلى لتحقيق هدفه الثاني ، وهو تأمين جناحه الأيمن، وجناح قوّات طارق بن زياد الأيمن أيضاً .

واستطاع عبدالأعلى بالتعاون مع أخيه عبدالعزيز ، أن يستعدا فتح مالَقَة(٢٩) (Malaga) وإلْبِيْـرَة (٣٠) (Elvira) . ثم توجّه عبدالعـزيز إلى المنطقة الجنوبيّة الشرقية من البلاد ، وقد التقى بالقرب من أُوْرْيُوْلَة(٣١)

(٢٨) الرازي (٧٨) وأخبار مجموعة (١٦ ــ ١٨) وابن الاثير (٥٦٤/٤ ــ ٥٦٥) والبيان المغرب (١٤/٢ ــ ١٥) والنويري (٢٨/٢٢ ــ ٢٩) ونفح الطيب (٢٧٠/١ ــ ٢٧١) .

(٢٩) مالقة : مدينة بالاندلس عامرة من أعمال (رية) ، سورها على ساحل البحر ، بين الجزيرة الخضراء والمرية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٧/٧) .

(٣٠) البيرة : كورة كبيرة بالاندلس واسم مدينة ايضا ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٢/١) و (٣٢٠/٢) .

(٣١) اوريولة : مدينة قديمة من أعمال الاندلس من ناحية تدمير ، بساتينها متصلة ببساتين مرسية ، انظر معجم البلدان (٣٧٣/١) .

(Orihuela) بالـدوق تُدْميرْ (Theodemir) حاكم هـذه المقـاطعة ، وكان هذا الرجل ذا خبرة عظيمة وتقدير صائب للأمور ، قاوم مدة هجوم المسلمين بقيادة طارق بن زياد ، ولكنه أخفق في صدّ المسلمين ، ففتحوا مقاطعته وكبدوه خسائر فادحة بالأرواح والممتلكات فتوصّل أخيراً إلى عقد معاهدة صلح بينه وبين المسلمين في شهر رجب من سنة اربع وتسـعين الهجريّة(٣٢) (نيسان – أبريل – ٧١٣م) ، وبموجب هذه المعاهدة التي ذكر تفاصيلها المؤرخون العرب والمسلمون وغيرهم ، حصل تدمير على شروط مناسبة جداً للصلح ، فقد اعترُف به حاكماً على سبعة مدن تقع ضمن منطقته ، وهي : أُوريْوُلَة ، وبَلانة (٣٣) (Villena) ولَقَنْت (٣٤) (Alicante) ، ومُوْلة (٣٥) (Mula) ، وبسْقَرة (٣٦) (Bigastro) ، وإلة(٣٧) (Ello) ، ولُوْرَقة (٣٨) (Lorca) ، كما احتفظ بادراته الداخلية لهـذه المـدن ، على شـرط أن يدفع جـزية سنـوية تقـدّر بدينار ذهبـيّ واحـد ، لكـلّ فـرد حـرّ من أفـراد منطقتـه ، أمـا

(٣٢) اخبار مجموعة (١٢ ـ ١٣) .

(٣٣) بلانة : احدى مدن كورة تدمير بالاندلس ، التي تتصل بأحواز كورة جيان ، وهي شرقي قرطبة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٣٤) لقنت : حصنان من اعمال لاردة بالاندلس:لقنت الكبرى،ولقنت الصغرى، وكل واحدة تنظر الى صاحبتها ، انظر معجم البلدان (٧/٣٣٦) .

(٣٥) مولة : يبدو انها احدى مدن كورة تدمير ، انظر معجم البلدان (٢/٣٧١ – ٣٧٢) وجغرافية الاندلس واوروبا (١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩) .

(٣٦) بسقرة او بسكرة : احدى مدن كورة تدمير ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٧١ ـ ٣٧٢) .

(٣٧) الة : يبدو انها احدى مدن كورة تدمير ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٧١ ـ ٣٧٢) .

(٣٨) لورقة : مدينة بالاندلس من أعمال تدمير ، وبها حصن ومعقل محكم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣٤٢) .

العبيد فتؤخذ عنهم نصف هذه الكمية . وقد وافق تدمير على تقديم كميات معيّنة من القمح والشعير ، والخل والعسل والزيت على كلّ فرد حرّ من أفراد منطقته ونصفها على العبيد ، كما وافق ألاّ يقوم أحد من رعيته بتجاهل هذه المعاهدة أو الاخلال بشروطها ، وألاّ يأووا للمسلمين آبِقا (٣٩) ، ولا عدوّاً ، ولا يكتموا عنهم خبراً يتعلّق بأعدائهم وبالمقابل ، فانهم لن يُقتلوا ، ولن يُسْبَوا ، أو يجرّدوا من ممتلكاتهم ، أو يُفَرَّقَ بينهم وبين اولادهم ونسائهم ، ويُسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينيّة بحريّة ، ولن تحرق كنائسهم (٤٠) .

وبعد استقرار الامور في المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة الأندلس، عاد عبدالعزيز إلى إشبيلية .

وقد توقف قسم من المؤرخين الأجانب عند معاهدة عبدالعزيز وتدمير ، وناقشوا تلك المعاهدة مناقشة من لا يعرف حقيقة تعاليم الاسلام في القتال ، وهي : الاسلام ، أو الجِزية ، أو القتال .

وهذه التعاليم تقضي ، بأنّه إذا اراد المسلمون غزو بلد من البلدان ، وجب عليهم أولاً وقبل كلّ شيء ، أن يدعوا أهله إلى الاسلام ، فان أسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ؛ وإن لم يُسلموا دعوهم أن يسلموا بلادهم للمسلمين ، يحكمونها ، ويبقى أهل البلاد على دينهم إن شاءوا ، على ان يدفعوا الجزية للمسلمين ، فان قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وكانوا في ذمّة المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم ؛ وإن لم يقبلوا الاسلام ، ولا الدخول تحت حكمه ودفع الجزية ، أُعلنت عليهم الحرب وقوتلوا .

---

(٣٩) آبق : هارب . وابق : هرب ، فهو ابق وابوق .
(٤٠) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٥٢٣ – ٥٣٣) – ط٢ – بيروت – ١٣٩٣هـ ٧.

تلك هي المبادىء التي تسيطر على تعاليم الاسلام في الفتح : الاسلام ، الجزية ، القتال ، باتفاق الفقهاء ، وبالتطبيق العملي في الفتوح الاسلامية في معارك الفتوح كافة .

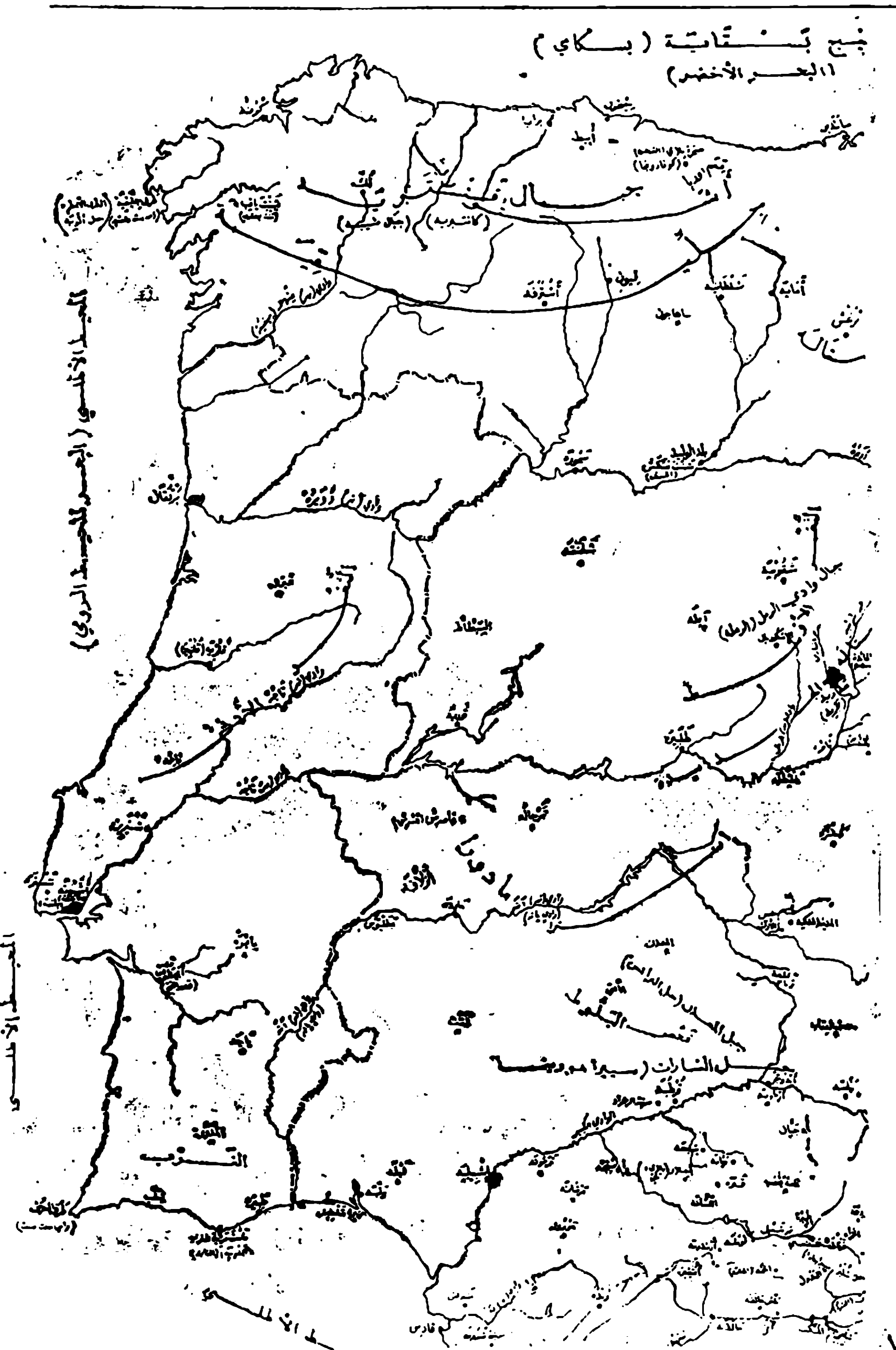
ولكن الذين توقفوا عند هذه المعاهدة من المؤرخين الأجانب ، فزعموا : « أن هذا النوع من المعاهدات المتساهلة ، ربما يشير إلى أنّ سياسة موسى بن نُصير ، كانت تهدف إلى خلق نوع من التعاون مع سكان البلاد في ادارتها بعد الفتح ، وهذه السياسة ستمكنه من أن يضع حامية صغيرة في كلّ مدينة مهمّة ، ويترك ادارة شئونها الداخلية كما كانت من قبل دون تدخّل في النظام الاداريّ للبلاد . وربما كان الدافع الى ذلك ، هو ظروف موسى وقلة مَنْ معه من رجال القبائل العرب الذين كان عددهم لا يكفي للهيمنة على كلّ الأندلس وإدارتها !! » .. الخ ...

ومن المؤسف حقاً ، أن قسماً من المؤرخين العرب والمسلمين ، تابعوا هذه الأفكار الأجنبية ، وما فعل عبدالعزيز ، كما لم يفعل موسى وسائر قادة الفتح الاسلامي ، غير تطبيق تعاليم القتال في الاسلام نصا وروحا ، فدفع تدمير الجزية ، كما دفع غيره الجزية شرقا وغرباً فبقى وبقوا في قيادة أنظمتهم ، وأصبحوا من أهل الذمّة ، ولأهل الذمة رعاية في الاسلام ، تتّسم بالتسامح والتواصل ، لا يعرفها دين من الأديان الأخرى ، وهي من صلب تعاليم الاسلام .

٣ . فتوح البرتغال :

في الوقت الذي كان موسى بن نُصَيْر وطارق بن زياد ، يقومان بفتوحاتهما في شمالي الأندلس ، كان عند العزيز يقوم بفتح وسط البرتغال.

فقد عاد عبدالعزيز كما ذكرنا ، إلى إشبيلية ، ومن ثم إلى مارِدَة ، حيث ولاه أبوه القيادة العامة للبلاد المفتوحة ، ومن باجَة زحف إلى


البحر الأخضر
جبال
أبذ
بنبلونة
أستورقة

يَابُرَةَ(٤١) (Evora)وشَنْتَرِين(٤٢) (Sanlarn) وقُلُمْرِيَّة(٤٣)(Caimbra)
وظلّ متجهاً إلى أقصى الغرب ، بقصد ملاقاة الفرق الاسلامية في أَسْتُرْقة(٤٤)
(Astorga) ، وقد قام عبدالعزيز بهـذا الفتح قبل رحيل أبيه موسى من الأندلس إلى دمشق : « فلم يبق في الأندلس بلدة دخلها المسلمون بأسيا فهم ، وتصيرت ملكاً لهم ، إلاّ قسّم موسى بن نُصير بينهم اراضيها ، إلاّ ثلاثة بلاد ، وهي : شَنْتَرِيْن وقُلُمْرِيَّة في الغرب ، وشَيَّة (٤٥) في الشرق ، وسائر البلاد خُمِّست وقُسِّمت بمحضر التابعين الذين كانوا مع موسى ابن نُصير » (٤٦) ، ومعنى هذا أنّ عبدالعزيز افتتح شَنْتَرِيْن وقَلُمْرِيَّة صلحاً ، وذلك أثناء وجود ابيه في الأندلس ، وبذلك فتح ما بقي من مدائن الاندلس (٤٧) .

---

(٤١) يابرة : بلد في غربي الاندلس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٨٤٩)، وتقع في البرتغال الحالية .

(٤٢) شنترين : مدينة متصلة الاعمال بأعمال باجة ، في غربي الاندلس ، ثم في غربي قرطبة ، على نهر تاجة ، قريب من انصبابه في البحر المحيط ، وهي حصينة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٠٠) وتقويم البلدان (١٧٢ - ١٧٣) .

(٤٣) قلمرية : مدينة في غربي الاندلس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٥١) ، وتقع في البرتغال الحالية .

(٤٤) استرقة : احدى مدن ولاية ماردة المهمة ، وهى اى ولاية ماردة هى ولاية البرتغال القديمة ، وهى في شمالي البرتغال حاليا ، انظر : دولة الاسلام في الاندلس (٦٩ و ١٣٠) .

(٤٥) شية : تقع في منطقة لاردة ووشقة ، وهى ضمن الثغر الاعلى الذى كانت سرقسطة عاصمته ، انظر جغرافية الاندلس واوروبا (٩٥) ، والمعلومات عن هذه المدينة الاندلسية قليلة .

(٤٦) الرسالة الشريفية الى الاقطار الاندلسية (٢٠٠) .

(٤٧) تاريخ افتتاح الاندلس (٣٦) .

ومن الواضح ، أنّ طارقاً وموسى ، لم يفتحا جميع انحاء شبه الجزيرة الأندلسيّة ، فبقيت مناطق لم تصل إليها جيوش الاسلام بعد . وقد تجمعت في بعض الأقاليم غير المفتوحة ، وفي الجيوب الجبلية النائية الوعرة ، مراكز للمقاومة القوطية ضدّ المسلمين ، فاقتضى الأمر إخماد تلك المقاومات وإتمام فتح الأندلس (٤٨) .

ولم يكن موسى ، ليترك ابنه عبدالعزيز ، وهو القائد الذي عرف بشجاعته ومهارته — عاطلاً في أيامه . ولو مضى عبدالعزيز مع قوّات أبيه في فتوحه شمالاً ، لظهر له أثر واضح في الفتح كما ظهر لغيره مثل طارق بن زياد ، وذلك في الصفحة الأخيرة من فتوحات موسى بن نُصير . كما أن وجود عبدالعزيز في باجَة القريبة من تلك المناطق غير المفتوحة ، لابدّ أن يغريه بفتحها .

والأهمّ من كلّ ذلك ، أنّ الموقف العسكري الذي كان موسى يحسب حسابه بكلّ دقّة ، يحتّم عليه أن يحمي جناح تقدّمه الأيسر ، فقد كان هذا الجناح مكشوفاً أيام طارق بن زياد ، وأصبح مكشوفاً بعد تغلغل موسى في فتوحه شمالاً ، وإلاّ تعرض جناحه الأيسر لتهديد المقاومة القوطية ، وتعرضت خطوط مواصلاته الطويلة إلى تهديد العدو القوطيّ الرابض في غربيّ الأندلس (البرتغال) ، فلم يكن باستطاعة موسى أن يتقدم شمالاً في فتوحه ، ما لم يؤمّن جناحه الأيسر ، بالقضاء على مراكز المقاومة القوطية ، وذلك بفتح تلك المراكز ، التي هي المدن البرتغالية ، ولم يكن هناك أولى بفتحها من عبدالعزيز الذي كان في باجَة القريبة من غربيّ الأندلس .

والذي يؤيدّ أنّ عبدالعزيز فتح ما فتح في شرقيّ الأندلس وفي غربيّ الأندلس ، في أيام وجود أبيه موسى في الأندلس ، وليس بعد رحيله عنها الى

(٤٨) قادة فتح المغرب العربي (١/٢٧٣) .

دمشق ، أن هذا الفتح كان لتأمين جناحي قوات طارق بن زياد وموسى بن نُصير بعد عبّوره إلى الأندلس ، ولتأمين خطوط مواصلات قوات المسلمين المندفعة عمقاً نحو الشمال ، للقضاء على المقاومة القوطية الرئيسة في عقر دارها في المناطق الوعرة والجبليّة ، ولفتح المدن والمناطق الأندلسيّة غير المفتوحة في شمالي الأندلس . فلما أتمّ موسى تحقيق أهدافه في الفتح ، وأتـَم طارق بن زياد تحقيق اهدافه في الفتح أيضاً ، وأكمل عبدالعزيز تأمين خطوط مواصلات قوات المسلمين بقيادة موسى وطارق المتغلغلة بالعمق شمالا ، وأكمل تأمين جناح تلك القوات الايمن وجناحها الأيسر ، وفتح ما فتح شرقاً وغربا ، لم يبق أمامه غيز ترصين ما فتحه ، فلما غادر موسى الأندلس إلى الشام وبرفقته طارق بن زياد ، أصبح على عاتق عبدالعزيز ترصين ما فتحه موسى وطارق إضافة الى ما فتحه هو ، ولم يكن ذلك بالأمر السهل ، وبخاصة وأنّه لم يمكث طويلاً على الأندلس بعد رحيل والده موسى عنها ، إذ رحل هو أيصاً عنها لا إلى دمشـق ، كما فعل أبوه ، بل إلى جوار الله ، كما سيرد ذلك وشيكا .

وبهذه المناسبة ، فقد أثار بعض المؤرخين الأجانب بعض التساؤلات عن عبدالعزيز وتابعهم عليها بعض المؤرخين العرب والمسلمين ، فقالوا : « وبعد إقرار الأمور في المنطقة الجنوبية الشرقية من شبة الجزيرة ، عاد عبدالعزيز ، إما حسب رغبته . وإما لأنـّه استدعي من قبل والده » ، وهذا التساؤل وأمثاله لا محل له ولا مسوغ . فتوجيه عبدالعزيز للفتوح شرقاً وغرباً ، كان ضمن الخطة السَّوْقيـّة للفتح ، وأهدافه تعـّين له من القائد العام الذي هو أبوه موسى ابن نـُصير . فالقائد المرءوس مقيـّد بتنفيذ الخطة العامة ومسؤول عنتنفيذ الجزء الخاص به منها . وله الحرية الكاملة في تنفيذ ما يخصه من الخطة السوقية بطريقته التعبوية الخاصة . فاذا انجز واجبه كاملا . فان توجيهه لتنفيذ واجب جديد ضمن الخطة السَّوْقيـّة ، يكون بأمر القائد العام وليس حسب رغبته

وهواه ، فليس للرغبة والهوى أثر في مثل هذا المجال ، بل هي أوامر يصدرها القائد العام ، وينفذها القائد المرءوس ، وليس في الأمر رغبة شخصية ، والأمر كلّه واجب ينفّذ ، والضبط المتين هو السائد ، والموقف جدّ صارم ، وطاعة كاملة .

وتمّت فتوح عبدالعزيز خلال سنة اربع وتسعين الهجرية (٧١٣ م) وسنة خمس وتسعين الهجرية (٧١٤ م) ، أي حين كان أبوه موسى على الأندلس. ولا ارى أنّ القوات التي قادها عبدالعزيز كانت قوات جسيمة ، بل هي قوات خفيفة ، مؤلفة من الفرسان ، سريعة الحركة ، تستغل قابليتها في التنقّل السريع ، لتحقيق اهدافها في الفتح . ذلك لأنّ المقاومة القوطية كانت تتمركز في المناطق الوعرة والجبلية في شمالي الأندلس ، وفي المدن الأندلسية الشمالية النائية ، وكان على موسى وطارق بن زياد ، أن يقضيا على جذور تلك المقاومة وعلى أصولها ، وأن يجتثا جذورها من مراكزها الرئيسة في : المناطق الوعرة والجبلية في شمالي الأندلس ، والمدن الأندلسيّة الحصينة في تلك المناطق الصّعبة النائية ، لذلك كان من الصّعب الاستغناء عن قسم كبير من قوات المسلمين التي كانت تعمل بقيادتهما المباشرة ، لأنّ هدفهما في تطهير المقاومة القوطية ، وفتح المدن الأندلسية الشمالية كانا بحاجة ماسة إلى قوات جسيمة ، لإمكان تهيئة اسباب تحقيقهما ، كما أن المقاومة القوطية في وسط البرتغال ، لم تكن مقاومة عنيفة ، ولا يمكن مقارنتها بالمقاومة القوطيّة في شمالي الأندلس ، لذلك اكتفى موسى بتخصيص قوات خفيفة لابنه عبدالعزيز من أجل تحقيق اهدافه في تفتيت المقاومة القوطية في غربي الأندلس وفتح مدنها ، فنجح عبدالعزيز في ذلك نجاحا باهراً .

الانســـــان

أوّل ما ظهرت كفاية عبدالعزيز الادارية بوضوح ، كان بالصّلح الذي عقده بينه وبين تدمير .

وهذا هو نصّ كتاب الصّلح الذي كتبه عبدالعزيز بن موسى ، لتدمير ابن غبدوش :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : عبدالعزيز .

إلى : تدمير .

إنّه نزل على الصّلح ، وإنّه له عهد الله وذمته ، أن لا يُنتزع عنه ملكه ، ولا أحداً من النصارى عن أملاكه ، وأنّهم لا يُقتلون ولا يُسبون ، اولادهم ولا نساؤهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا تحرق كنائسهم ما تَعَبّد (كذا ، وصحتها تقيد) وما نَصَح ، وأنّ الذي اشتُرط عليه أنه صالح على سبع مدائن : أوريولة وبَلَنْتِلَة ولقنت ومولة وبَقَسْرَ وأنَّهْ ولورقة ، وأنّه لا يأوى لنا عدوّاً ، ولا يخون لنا أمناً ، ولا يكتم خبراً عَلِمَهُ ، وأنّه عليه وعلى اصحابه دينار كلّ سنة ، واربعة أمداد قمح ، واربعة أمداد شعير ، واربعة أقساط طِلا (٤٩) ، واربعة أقساط خلّ ، وقسط عسل ، وقسط زيت ، وعلى العبد نصف ذلك .

كُتب في رجب من سنة اربع وتسعين من الهجرة .

شهد على ذلك : عثمان بن أبي عبدة القرشيّ ، وحبيب بن عبيدة الفِهريَ . وعبدالله بن ميسرة الفهميّ ، وأبو قائم الهُذَليّ » (٥٠) .

وبهذه المعاهدة أصبح تدمير ومَن بقي معه من قومه على النصرانية ، من أهل الذمة ، في حماية المسلمين ورعايتهم ، ولا مجال للتعليلات التي ذهب إليها المستشرقون وتابعهم عليها بعض المؤرخين العرب والمسلمين ، فمكانة

(٤٩) الطلا : الطلاء ، وهو ما طبخ من عصير العنب .

(٥٠) بغية الملتمس ـ طبعة مدريد ـ ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ ص (٢٥٩) ، والرازي في ترجمته الاسبانية ، الفقرة (١٢) ، نقلا عن : فجر الاندلس (١١٤ـ١١٥)

أهل الذمّة بين المسلمين معلومة ، وحمايتهم واجبة ، ورعايتهم أمانة ، والالتزام بالعهود محتّمٌ على المسلمين .

ومن الواضح أن عبد العزيز عقد هذه المعاهدة في أيام أبيه على الأندلس ، لأنّها عُقدت سنة اربع وتسعين الهجريّة ، وموسى بن نصير غادر الأندلس سنة خمس وتسعين الهجرية ، فلا مجال للتشكيك في موعد عقدها .

وتدمير هذا هو ابن (Ergobados) (٥١) ، وهو يقرأ : إما غوبادوش أو جودوش ، وهو قريب من الاسم العربي الذي اطلقه عليه العرب (٥٢) وكان تدمير أحد كبار قادة غيطشة ملك الأندلس الذي اغتصب ملكه لذريق ، وكان نصرانياً مثقفا ، استطاع بعلمه وفضله اكتساب احترام المسلمين ، وما دام تدمير لم يُسلم ، وعقد الصّلح مع المسلمين على الجزية ، فقد اصبح من أهل الذمة ، له ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم .

وحين غادر موسى بن نُصَير الأندلس ، ولّى ابنه عبدالعزيز على الأندلس ، وترك معه مَن يعاونه من أقدر الرجال ، مثل حبيب بن أبي عُبَيْدَة الفِهْري ، أحد أحفاد عُقْبَة بن نافع الفِهْريّ ، وترك مع ابنه كثيراً من القادة المسلمين الآخرين مع أفراد قبائلهم ، ليدافعوا عن الأندلس (٥٣) ، ويحموه ، وقد اختار موسى إشبيلية عاصمة للبلاد ، بسبب قربها من البحر والمضيق ، كما جعلها أيضاً قاعدة برية بحرية للمسلمين في الأندلس (٥٤) .

---

(٥١) Saavedra. OP. cir. p. 87.

(٥٢) كما جاء ذلك في بغية الملتمس (٢٦٩ و ٣٣٧ و ٤٠٠) وفي نظم العقبان لاحمد بن انس العذرى : غبدوش .

(٥٣) اخبار مجموعة (١٩) وفتح الاندلس (١٧) وابن الاثير (٤/٥٦٦) والبيان المغرب (٢/٢٣) ونفح الطيب (١/٢٧١) وابن خلدون (٤/٢٥٥) .

(٥٤) اخبار مجموعة (١٩) ونفح الطيب (١/٢٧٦) والرسالة الشريفية (٢١٠) وابن الاثير (٤/٥٦٦) .

وبدأت مشاكل عبدالعزيز ، بعد مغادرة موسى الأندلس إلى دمشق ، فأصبح يحارب في جبهتين : الجبهة الداخلية ، المتمثلة في الطامعين بحكم الأندلس ، المنافسين له على ولايتها ، يشجّعهم على ذلك موقف الخلافة من موسى بن نُصَير ، في اضطهاده ومحاسبته حساباً عسيراً ، فكان التيار السّائد على عبدالعزيز لا معه . والجبهة الخارجية ، المتمثلة بالمقاومة القوطيّة المتربِّصة بالفاتحين ، التي تنتهز الفرصة للانقضاض على الفاتحين ، وإعادة المناطق المفتوحة إلى الحكم القوطي من جديد .

وقضى عبدالعزيز في ولايته نحو سنتين ، عنى خلالهما بتحصين الثغور وقمع الخروج والعصيان ، وأبدى همّة في تنظيم الحكومة الجديدة وإدارتها ، وأنشأ ديواناً لتطبيق الأحكام الشرعية وتنسيقها . وشجّع الزواج بين العرب والاسبان وتزوج جيلونا (إيجلونا) التي تسميها المراجع العربية : أَيْلُه (أيلونا) أو أم عاصم ، وكانت أيلونا قبل ذلك زوجاً للذريق (٥٥) ، فيما تذهب إليه المراجع « وكانت قد صالحت على نفسها في وقت الفتح ، وباءت بالجزية ، فأقامت على دينها ، فحظيت عنده وغلبت على نفسه » (٥٦) ، فتزوجها بعد خروج أبيه موسى من الأندلس ، فجاءته من الدنيا بشيء كثير لا يُوصف (٥٧) .

وانتهز الطامعون بولاية الأندلس ، المنافسون بولايتها فرصة زواجه بأيلونا المسيحيّة فزعموا أنّها ملكت زمام زوجها ، فتابعها في كثير مما

(٥٥) وقال الواقدي ونقله ابن عبدالحكم ، انها كانت ابنة لذريق لازوجته ، وانظر اخبار مصر (٢١٢) وفتوح مصر والمغرب (٢٨٥) .والبيان المغرب (٢٣/٢) ، وحبطت فيه : ايله .

(٥٦) فتح الاندلس (٢١) وابن الاثير (٢٢/٥) .

(٥٧) فتوح مصر والمغرب (٢٨٥) .

ارادت (٥٨) ،وأنها عملت له تاجاً من الذّهب والجوهر ، وحملته على أن يلبسه ، لأنّ : « الملوك إذا لم يُتوجوا ، فلا مُلك لهم » ، كما قالت ، ومازالت به حتى قَبِل أن يلبسه إذا خلا إليها ، فشاع تتويجه في خيار جند المسلمين ، فلم يكن لهم هَمٌّ إلاّ كشف ذلك ، حتى رأوه عيانا ، فقالوا ، تنصّر ! ثم هجموا عليه ، فقتلوه (٥٩) .

ولم تقف حرب الاشاعة على عبدالعزيز إلى هذا الحد ، ويبدو أن قصّة لبس التاج وتنصّره ، تؤثّر في الرأي العام لجند المسلمين في الأندلس ، باعتبار أنّهم يرفضون كلّ انحراف عن تعاليم الاسلام ، ولكن مثل تلك الاشاعة ، لا تؤثر في الذين خبروا مزايا عبدالعزيز تقيّاً ورعاً ، كما لا يصدّقها العقلاء الذين في السُّلطة أو خارجها ، فأشاعوا أنه : « لما بلغ عبدالعزيز بن موسى ما نزل بأبيه وأخيه عبدالله بنموسى الذي كان في القيروانعلى إفريقية والمغرب وآل بيته ، خلع الطّاعة وخالف ، فأرسل إليه سليمان بن عبدالملك رسولاً فلم يرجع ، فكتب سليمان إلى حبيب بن أبي عبيدة بن عُقْبَة بن نافع ووجوه العرب سراً بقتله ، فلما خرج عبدالعزيز إلى صلاة الفجر ، قرأ فاتحة الكتاب ، ثم قرأ سورة الواقعة ، فقال له حبيب : حقّت عليك يا ابن الفاعلة ! وعلاه بالسيف ، فقتله (٦٠) ، وقد ركز قسم من المستشرقين على تصديق اتجاه عبدالعزيز الى الاستقلال عن الخلافة بالاندلس(٦١) ، وتابعهم على تصديق هذا الزّعم المتهافت قسم من مؤرخي العرب والمسلمين .

(٥٨) فجر الاسلام (١٣٠) .
(٥٩) البيان المغرب (٢/٢٣) .
(٦٠) البيان المغرب (٢/٢٣ ــ ٢٤) وفتح الاندلس (٢٣) .
(٦١) انظر مثلا :
Losmozarales de Espana, vol, 1, p. 147 — C. Jdian : ibi, p. 778:
F. j. Simonet : Historia de.

وأما القول بأن الخليفة سليمان بن عبدالملك اوعز بقتله ، فقول لا يجد ما يؤيده من الواقع ومن التفكير السّليم ، لأنّ الخليفة لم يكن عاجزاً عن عزله إن أراد ، وقد سبق للخليفة عزل أبيه موسى وهو اقوى منه وأكبر مكانة وانصع تاريخاً وأكثر اتباعا ، فعزله بسهولة ويسر ، واستخرجه من الأندلس مع رجل او رجلين من رجال الخليفة ، دون ان يستطيع موسى تحريك ساكن ، كما لم يكن سليمان ليخشى ثورته بالجند ، لأن الجند كان مختلفا عليه ، وليس بمعقول أن يكون حقد سليمان على عبدالعزيز أشد من حقده على أبيه موسى ، فما اوعز سليمان بقتل موسى ولا فكرّ بذلك ، ولا قتله حين أصبح في دمشق رجلا بلا غد .

ومصداق ذلك ، أن سليمان لما بلغه : « مقتل عبدالعزيز بن موسى ، شقّ ذلك عليه ، فولّى إفريقية عُبَيْدالله بن يزيد القريشي ، لا أدري لمن من قريش (يريد محمد بن يزيد مولى قريش والي إفريقية) ، والى افريقية كان أمر الأندلس وطَنْجَة وكل ما وراء إفريقية ، وأمره سليمان فيما فعله حبيب بن أبي عُبَيْدة وزياد بن النّابغة من قتل عبدالعزيز ، بأن يتشدّد في ذلك ، وأن يقفلهما إليه ومَن شركهما في قتله من وجوه الناس ، ثمّ مات سليمان فسرّح عبيدالله بن يزيد والي افريقية على الأندلس الحرَّ بن عبدالله الثّقفي ، وأمره بالنظر في شأن قتل عبدالعزيز (٦٢) » ، مما يفهم صراحة أنّ الأمر دُبرّ بغير علم الخليفة . وأن الخليفة لا علاقة له بقتل عبدالعزيز .

ولم يكن من سمات خُلق سليمان بن عبد الملك الإقدام على الاغتيالات أو التحريض عليها ، فقد وصف سليمانَ المؤرّخون بأنّه : « مفتاح الخير ، أطلق الأسارى. وخلىّ أهل السُّجون . وأحسن إلى الناس ، واستخلف عمر

(٦٢) اخبار مجموعة (٢٢ ــ ٢٣) .

ابن عبدالعزيز »(٦٣) ، فلا يتهمه بالاغتيال ، او يصدّق هذا الاتّهام ، عاقل غير متحيِّز .

كما أنّ عبدالعزيز ، لو أراد الاستقلال بالأندلس عن الخلافة ، لأعدّ لذلك عدته ، التي من أولها : إبعاد غير الموثوق بهم من صفوف جنده ، واتّخاذ الحماية الكافية لنفسه ، وتقريب مَن يعينه على تحقيق ما يصبو إليه .

ولم يتّخذ عبدالعزيز شيئاً من هذه التدابير ، ولو اتخذ شيئاً منها ، لما سهل على الطّامعين والمنافسين له اغتياله بسهولة ويُسر .

أما اتّهامه بأنه ضعيف مترف مُستَخذٍ لزوجه ، وأنّه تنصّر ، فلا سبيل إلى تصديق ذلك ، فقد أقام مع زوجه أيلونا في دار متواضعة قريبة من موضع اجتماع المسلمين ومكان صلاتهم . ولو كان ضعيفاً مترفاً لسكن أحد قصور إشبيلية الفخمة ، ولما استقرّ في دار متواضعة ، ليكون قريباً من رجاله ومن مسجده .

أما أنّه تنصّر ، فقد كان خيِّراً فاضلا (٦٤) ، ومن خير الولاة (٦٥) ، ولما أُحضر رأس عبدالعزيز بين يدي سليمان ، حضر أبوه موسى ، فقال له سليمان : « أتعرف هذا ؟ » ، قال : « نعم ، أعرفه صوّاماً قواماً فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيراً منه » (٦٦) .

والمعقول ، أنّ عبدالعزيز ذهب ضحيّة الطامعين بولاية الأندلس والمنافسين له على الحكم ، وبخاصة بعد أن أصبح أبوه موسى وأهل بيته من المغضوب عليهم ، فكان موقف عبدالعزيز في مدّة ولايته ضعيفا ، واصبحت

---

(٦٣) الطبري (٣٠٤/٥) .
(٦٤) نفح الطيب (٢٣٤/١) وابن الاثير (٤٨٩/٥) .
(٦٥) نفح الطيب (٢٨١/١) .
(٦٦) جذوة المقتبس (٢٧١) وبغية الملتمس (٣٨٦) .

الفرصة سانحة أمام الطّامعين والمنافسين له : « اجتمعوا على أيوب بن حبيب اللّخميّ الذي قُتل عبدالعزيز بمشورته » (٦٧) ، مما يدلّ بوضوح على أنّ الأمر تمّ في الأندلس بعد أن تشاور الطّامعون والمنافسون له ، فشنوا حرب الاشاعة ، وكان موقف عبدالعزيز يومئذ بعد نكبة أبيه واهنا ، فنجح اعداؤه في قتله وتولى قاتله السّلطة بعده ، ولو إلى حين .

ويبدو أن حال عبدالعزيز مع جنده لم يكن على ما ينبغي ، لا لأنّهم كانوا ساخطين عليه ، بل لأنّ نفراً منهم كان شديد التّطلّع والطموح ، وكان هؤلاء النفر من الظّاهرين في جنده وكبار رجاله .

لقد أصبح عبدالعزيز والياً على الأندلس منذ مبارحة أبيه موسى الأندلس في صفر من سنة خمس وتسعين الهجريّة (تشرين الأول – تشرين الثاني – أكتوبر – نوفمبر من سنة ٧١٣م) ، وجرى اغتياله في رجب من سنة سبع وتسعين الهجريّة (٦٨) (كانون الثاني – يناير – من سنة ٧١٦ م) ، فقضى في ولايته زهاء عامين فقط . أنجز ما أنجز خلالهما من أعمالْ جِسام ، ذكرنا قسما منها ، وكان بامكانه أن ينجز اعمالا أكبر مما انجزه واكثر ، لولا أنّ نفسه كانت طوال أيام ولايته مروّعة ينتابها الخوف على مصير أبيه موسى ابن نُصَير ومصير أسرته . فمال إلى السّكون والانتظار والترقّب ، وبهذا وحده يمكن أن نعلّل عدم نشاطه في العمل (٦٩) . وقد عرفناه إلى ذلك الحين رجلاً مقداماً نشيطاً لا يكلّ ولا يملّ من العمل ، ويُتعب مَن يعمل معه دون أن يتعب . وكان من أولئك القلائل الذين لاينامون ولاينيمون .

(٦٧) فتح الاندلس (٢٣) .

(٦٨) البيان المغرب (٢/٣٤) ، وانظر جذوة المقتبس (٢٧١) ، وفي بغية الملتمس (٣٨٦) : انه قتل سنة تسع وتسعين الهجرية .

(٦٩) فجر الاندلس (١٢٩) .

ولا عبرة في ذكر شيء من حرب الاشاعة في بعض المصادر المعتمدة ، التي أشاعها اعداء عبدالعزيز عليه طمعاً بولاية الاندلس ومناصبها العليا ، فقد تردّد ذكرها على ألسنة الناس وتناقلوها دون تدقيق ولا تمحيص ، فسجّلها أحد المؤرخين ثقة بها أو كشفا لزيفها ، ثمّ تناقلها عنه غيره بالتدريج ، ولا غبار على أنّها من الاشاعات المغرضة التي لا تصدّق ، فما كلّ ما خطته المصادر صواب ، ولا يخلو مصدر من هفوات .

وقد كان موسى بن نُصير من التابعين (٧٠) ، فيكون عبدالعزيز ابنه من تابعي التابعين ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

القائـــد

لئن كان طارق بن زياد ، قد ترك ثغرة خطرة على فتحه ، بالرغم من عظمة ذلك الفتح ، هو تغلغله بالعمق في الأندلس ، إلى مسافات لا تتناسب مع ما كان لديه من قوّات ، فكانت خطوط مواصلاته مهدّدة بالانقطاع عن قاعدته الأمامية المتقدّمة في جبل طارق ، وقواعده في طَنْجَة وسَبْتَة والقيروان ، وكان جناحاه الأيمن والأيسر مهدّدين بحشود المقاومة القوطية المتنامية . ولكن اعتمـــاد طارق على قيادة موسى بن نُصـــير ، قائده المباشر ، سوّغ له هذا التغلغل عمقاً في الأندلس ، لأنه كان يثق ثقة مطلقة بأن موسى لن يتركه وحده في مصاولة القوط ، ولن يسمح للمقاومة القوطية أن تقطع خطوط مواصلاته او تعرّض جناحيه للخطر الدّاهم ، وفعلا كان موسى عند حسن ظن طارق به ، فلم يفسح المجال للمقاومة القوطية أن تلحق الضرر بقوّات طارق ، وعمل على ملافاة الخطر من تغلغل طارق فوراً ، وفي الزمان والمكان المناسبين .

(٧٠) تاريخ العلماء والرواة بالاندلس (١٤٤/٢) وجذوة المقتبس (٣١٧) وبغية الملتمس (٤٥٧) ووفيات الاعيان (٤٠٢/٤) والبداية والنهاية (١٧١/٩) .

ولئن كان الهدف الرئيس من عبور موسى بن نُصير الى الأندلس ، هو لحماية قوّات طارق من خطر تعرّض خطوط مواصلاتها للانقطاع ، ومن خطر تعرض جناحيها للتهديد المعادي ، ولحرمان المقاومة القوطية من محاولة قطع خطوط مواصلات قوات طارق وتهديد جناحيها المكشوفَيْن .

فان عبدالعزيز في الواقع ، هو الذي نفذ عملياً خطـّة الانقاذ لقوات طارق التي وضَعها موسى وعبر إلى الأندلس من أجل تنفيذها ، فاستعاد فتح إشبيلية من جديد ، ورصّن قوّات المسلمين في لَبْلَة وباجَة ، وبذلك حمى خطوط مواصلات طارق وموسى من القطع ، كما فتح جنوبيّ وجنوب شرقي الأندلس، وبذلك حمى جناح قوّات طارق وموسى الأيمن ، وفتح غربي الأندلس في البرتغال ، وبذلك حمى جناح قوّات طارق وموسى الأيسر ، فأصبحت بذلك قوّات المسلمين في الأندلس : على الرغم من تغلغلها عمقاً نحو الشمال ، في أمان واطمئنان ، لا تخشى قطع خطوط مواصلاتها ، ولا تحذر تهديد جناحيها ، وتفتّتت المقاومة القوطيّة شرقا وغربا ، وا صبح الفتح الأندلسيّ فتحاً مستداما ، ولم يبق للمقاومة القوطية أثر ولا تأثير إلا في الجبال الشمالية التي تفصل بين الأندلس من جهة وفرنسا من جهة أخرى .

لقد كان أثر عبدالعزيز بمعاونة أخيه عبدالأعلى ، في الفتح الأندلسي ، وفي ترصين ذلك الفتح ، وفي حماية القوّات الاسلامية الفاتحة ، عظيماً للغاية في واقعه وفي حاضر المسلمين في الأندلس ومستقبلهم ، دون أن يُعطي الأهمية المناسبة له من المؤرخين قديماً وحديثاً .

فهو الذي تولى الأندلس : « بعد قُفُوْل أبيه عنها .... فضبط سلطانها ، وضمّ نَشَرَها . وسدّ ثغورها ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة ، مما كان قد بقي على أبيه موسى منها ، وكان من خير الولاة ، إلاّ أنّ مدّته لم تطل(٧١).

(٧١) نفح الطيب (١/١٨١) وانظر البيان المغرب (٢/٢٤) .

ومعنى ذلك ، أنّ بقاءه والياً لم يطل أمده ، لتظهر مزاياه القيادية في الفتوح وفي إحراز الانتصارات الباهرة .

وبالامكان إضافة عامل آخر ، على قصر مدّته والياً ، هو أنّ ظروفه الراهنة ، بعد غضب الخلافة على أبيه موسى وعلى أهل بيته ، لم تكن ملائمة لاستئناف الفتوح واحراز الانتصارات ، إذ كان هو أيضاً مصيره معلّقاً في مهبّ الريح ، ومن المتوقّع أن يُصيبه ما أصاب أبيه وأهل بيته عاجلا أم أجلا ، فكان بحقّ منهكاً نفسياً ، لا يدري ما تخبّؤه له الأيام من محن ومصائب ، ولا يستطيع والٍ في مثل موقفه هذا غير المضمون أن يفعل ما فعله عبدالعزيز أو يحقّق ما أنجزه . ومن المعلوم أنّ الوالي يومئذ هو القائد العام على البلاد فهو إداري وقائد ، يعمل في القضايا الادارية ، كما يعمل في القضايا العسكرية ، فهو اداري وقت السّلام ، اداري وقائد وقت الحرب .

وقد ظهر لنا ، أنّ عبدالعزيز قد تهيّأت له في أيامه الأولى مزيتان من مزايا القائد اللاّمع ، هما : العلم المكتسب ، والتجربة العمليّة .

وبقي علينا ، أن نتدارس معاً ، المزيّة الثالثة للقائد اللامع ، وهي : الطبع الموهوب ، لاستكمال دراسة المزايا الثلاث : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والتجربة العملية .

إنّ مفتاح شخصيّة عبدالعزيز القياديّة ، هو أنه إذا قرر فتح مدينة من المدن او منطقة من المناطق ، ووضع الخطة التعبوية المناسبة لتحقيق هدفه ، فانه يبذل قصارى جهده لتحقيق هدفه بالحُسنى ، فيفاوض لعقد معاهدة للصّلح ، تجعل التعايش بين الغالب والمغلوب ممكنا ، وتقلّل من الخسائر المادية — وبخاصة في الأرواح ، بين الجانبين المتحاربين ، وتجعل بنود السّلام تخفق على رؤوس المتحاربين بدلا من أن تدقّ بينهم طبول الحرب . فاذا نجح في تحقيق هدفه بالسّلام لا بالحرب ، فذاك ما يصبو إليه ويتمنّاه ، وإلاّ فلا مفرّ من القتال ، إذا لم يبق من وسيلة للتفاهم إلا القتال .

والأسبقية في تحقيق الهدف ، بالنسبة لعبدالعزيز ، هو للسّلام أولا ، وللقتال ثانيا ، إذا لم يُفلح في تحقيق هدفه بالسّلام ، واذا لم يكن إلا الأسنّة مركباً ، فما حيلة المضطر الا ّ ركوبها ، والكيّ آخر الدواء .

وهو في هذه المزية القيادية ، يشابه أبا عُبَيْدَة بن الجرّاح رضي الله عنه (٧٢) ، وهو على طرفي نقيض من خالد بن الوليد رضي الله عنه (٧٣) وطارق بن زياد رحمه الله ، فقد كان خالد وطارق شديدين على الأعداء ؛ إما أن يستسلم لهما العدو فوراً ، وإلا ّ قاتلاه بعنف شديد فورا ، حتى يستسلم لهما عَنْوة دون قيد او شرط .

وقد عقد عبدالعزيز معاهدة للصلح بينه وبين تدمير ، جعلت التّعايش بين المسلمين والاسبان في جنوبي وجنوبي شرقي الأندلس ممكناً ومريحاً ، ولكنه لم يستطع أن يعقد معاهدة للصلح بينه وبين ما فتحه من مدن غربي الأندلس في البرتغال ، فنشب القتال بين المسلمين والقوط ، ولكن هذا القتال كما يبدو لم يكن عنيفاً لا يُبْقي ولا يَذَر ، بل كان كالدواء يتناوله المريض للشفاء ، فاذا شفي او قارب حدود الشفاء ،تخلى عن الدواء . وهكذا كان القتال في غربي الأندلس ، قليل الخسائر على الجانبين ، فلما تم الفتح بادر عبدالعزيز إلى مواساة المتضرّرين من جرّاء القتال .

فاذا تجاوزنا مفتاح شخصيّة عبد العزيز القياديّة ، إلى سمات قيادته بايجاز ، نجد أنه كان يتحلى بسمة : إصدار القرار الصحيح السّريع ، فقد كان ذكياً حاضر البديهة متعلماً ، مثابراً على حصول المعلومات عن العدو ، والأرض التي يقاتل عليها ، من شتى مصادر الحصول على المعلومات ، ومنها العيون والاستطلاع .

(٧٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا فتح الشام ومصر (٥٤ ــ ٨١) .
(٧٣) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٥١ ــ ٢٣٧) وكتابنا : خالد بن الوليد المخزومي .

وكان يتحلّى بالشجاعة والاقدام ، فكان يقود رجاله من الأمام ، ولا يقودهم من الخلف ، ويكون أُسوة حسنة لرجاله بشجاعته الشخصية .

وكان ذا إرادة قويّة ثابتة ، إذا عزم على أمر نفّذه ، واذا أصدر أمراً أصر على تنفيذه ، وكان يُقدم على تحقيق أهدافه في الفتح بعزم واصرار .

وكان من أولئك القادة الذين يتحمّلون مسؤلياتهم كاملة ، ولا يتهرّبون منها ، أو يلقونها على عواتق الآخرين .

وكان ذا نفسية لا تتبدّل في حالتي النّصر والاندحار ، واليُسر والعُسر ، فما عرفناه ضَعُف أو أبدى ضعفاً ، حين أصبح والده موسى مغضوباً عليه من الخليفة ، بل ظلّ يزاول أعماله ، أقوى ما يكون ثباتاً ونشاطاً ، حتى أتاه اليقين .

وكان يتمتّع بمزية : سبق النّظر ، فيتوقّع ما سيحدث ، ويتصور ما سيقع ، ويُعدّ لكلّ شيء عدّته حلّا لما عسى أن يجابهه من معضلات .

وكان يعرف نفسيّات رجاله وقابلياتهم ، فيكلّف كلّ واحد منهم ما يناسبه من واجبات تناسب نفسيته وقابليته ، ولكنّه لم يكن يعرف نيات مَنْ حوله من كبار رجاله ، فتآمروا على اغتياله دون أن يكتشف نياتهم قبل وقت مناسب من التنفيذ ، لأنّه لم يؤذِ أحداً منهم ، ولم يظلم أحدا ، فما كان يتوقع أن يؤذيه أحد او يظلمه ، وكان عليه أن يحتاط لنفسه ، فالوقاية خير من العلاج .

وكان يثق برجاله ويثقون به ، والتآمر على اغتياله ليس دليلاً على عدم ثقة رجاله به ، وهؤلاء الذين تآمروا عليهم يُعدّون على الأصابع ، وهم لايمثّلون سائر رجاله ، الذين كانوا يبادلونه ثقة بثقة ، ويرونه قائداً يستحق الثقة الكاملة به .

وكان يحبّ رجاله ، ويبادلونه حبا بحب ، وآية حبّه لهم أنّه حرص على أرواحهم في ميادين القتال ، فلم يقاتل إلاّ بعد أن أعيته وسائلهُ كافة في تحقيق أهدافه بدون قتال . كما أنّه لم يفرّط برجل من رجاله بأيّ شكل من الأشكال وبأيّ أسلوب من الأساليب ، وأبقاهم حوله بتماس شديد معه ، حتى رحل إلى جوار الله .

وكان ذا شخصيّة قويّة نافذة مؤثرة فيمن حوله من رجاله ومن الاسبان الذين فتح بلادهم ، ولولا تلك الشخصيّة المتميّزة ، لما استطاع السّيطرة في الأندلس ، بعد أن تسامع الناس ، بأنّ أباه موسى أصبح في عِداد المغضوب عليهم من الخليفة ، وأنّ مركز عبد العزيز والياً وقائداً أصبح مهدّداً بالعزل اليوم أو غدا.

وكان يتمتّع بقابلية بدنية متميّزة ، فقد كان في ريعان الشباب ، واستطاع مشاركة رجاله في ميادين القتال صيفاً وشتاء ، وتعباً وعناء ، وتنقّلاً وثواء .

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد ، فهو ابن فاتح الأندلس موسى بن نُصَير ، وهو قد أضاف إلى أمجاد أبيه مجداً جديداً في الفتح وفي ميادين القتال .

وكان يطبّق مبادئ الحرب كافةً بصورة فطريّة ، فهذه المبادئ ثابتة أبداً ، ولكنّ الأساليب القتاليّة هي التي تتغيرّ باستمرار .

فقد كان عُبد العزيز يطبّق مبدأ : اختيار المقصد وإدامته ، فكان يختار مقصده بالضبط ، ويفكرّ في أقوام طريقة للوصول إليه ، ثم يضع الخطّة المناسبة للحصول عليه .

وكان قائداً تعرّضياً ، لم يتّخذ الدفاع مسلكاً له في تحقيق أهدافه العسكرية ، ولكنّه كان يتعرّض إذا لم ينجح في حمل عدوّه على الصّلح :

وكان يطبّق مبدأ المباغتة ، ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، ولكن قبل أن يباغت عدوّه يحاول أن يحقّق هدفه بلا قتال ، بالمفاوضات لعقد الصلح ، فاذا

لم ينجح في تفادي القتال، حاول أن يباغت عدوه بالمكان أو بالزمان أو بالأسلوب. أما العدو، فلم يستطيع أن يباغت قوّات عبد العزيز في يوم من الأيام.

وكان يطبّق مبدأ: حشد القوّة، لتكون جاهزة لقتال العدو، دون تفريط في جزء منها بلا مسوّغ، ولم تكن قوّاته في حينه كبيرة، لذلك لم يكن بمقدوره الاستغناء عن جزء منها.

ولم يكن يُغفل مبدأ: الاقتصاد في المجهود، فكما كان لايفرّط بجزء من قوّاته دون مسوّغ، كان يحول دون التفريط بجزء منها دون مسوّغ أيضاً، وقد كان من أولئك القادة الذين لايغرّرون برجالهم، ويحرصون على أرواحهم حرصاً لا مزيد عليه.

وكان يسهر على: أمن رجاله، وقد نوّهنا بمبلغ حرصه على أرواحهم، وذكرنا أنّه لايغرّر بهم، وأن العدو لم يستطع مباغتة رجاله في يوم من الأيام، مما يدلّ على أنّه كان يطبق مبدأ: الأمن، بشكل يدعو إلى التقدير.

وكان يطبّق مبدأ: المرونة، في خططه التعبوية، فالمقصد من العملية واضح لديه، والخطة مرسومة سلفاً لتحقيق المقصد، ولكن الخطة قابلة للتحوير والتّطوير بالنسبة للظروف والأحوال، فلا يصرّ على تطبيق خططه إذا اقتضت الظروف إدخال التعديلات عليها، مادامت تلك التعديلات لاتؤثر في تحقيق المقصد المطلوب.

وكان لايتوانى عن: التّعاون، بين قواته، تعاوناً وثيقاً، وبين قوّاته وقوّات غيره من قادة المسلمين، كما فعل مع قوّات أخيه عبد الأعلى، وبين قوّاته وقوّات القيادة العامة التي كان أبوه موسى على رأسها، وقد لمسنا همّته في استعادة فتح إشبيلية ولبة وباجة لتأمين خطوط مواصلات طارق وموسى، وهمّته في فتح مدن جنوبي وجنوب شرقي الأندلس وغربيها، لتأمين جناحي

طارق وموسى الأيمن والأيسر ، فأصبحت قوّات المسلمين آمنةً مطمئنّة ، وكانت قبل فتوح عبد العزيز في خطر عظيم .

وكان يطبّق مبدأ : إدامة المعنويات ، بثلاثة عوامل ، هي العقيدة الراسخة ، التي هي التّمسك بالدين الحنيف ، وبالنّصر المؤزّر ، الذي أحرزه عبد العزيز وطارق وموسى ، وبالقيادة القادرة المتميّزة ، التي هي قيادة عبد العزيز ومن قبله قيادة طارق وموسى ، فكانت معنويات المسلمين في الأندلس عالية جداً ، لأنّ عوامل إدامة المعنويات الثلاثة كانت متيسرةً يومذاك .

وكان عبد العزيز معنياً بالأمور الاداريّة ، فلا نعلم أنّ قوّاته عانت من نقص في ناحية ما ، من نواحيها الأدارية ، بل كان وضعها الأداريّ جيداً للغاية ، ويكفي أن نتذكرّ ما حمله موسى معه من غنائم جسيمة من الأندلس ، حين غادرها إلى دمشق . ومهما قيل في المبالغة بجسامة تلك الغنائم ، فانّها تبقى دليلاً على أنّ المسلمين كانوا يعيشون في الأندلس عشاً هو أقرب إلى الرفاهية والثراء منه إلى الفقر والعوز . ولايمكن أن تكون القيادة الأندلسية تمتلك كلّ هذا الثراء الباذخ العريض ، دون أن يظهر ذلك على القوّات الاسلاميّة التي تقودها في مسيرة أمورها الاداريّة .

إنّ قوّات المسلمين في الأندلس كانت في بحبوحة من العيش ، يمكن أن يكون وضعها من الناحية الاداريّة ، أفضل من وضع سائر قوّات المسلمين ، في سائر أمصار الدولة الاسلاميّة ، شرقاً وغرباً .

ويبدو أنّ عبد العزيز ، كان يساوي بينه وبين رجاله ، فكان يعيش بينهم ويصليّ في مسجدهم ، ولو أنّه اتخذ حرساً لنفسه ، وجماعة مختارة من رجاله لحمايته ، ومكاناً خاصاً به في المسجد للصّلاة ، لصعب على المتآمرين عليه تنفيذ خطّتهم في اغتياله ، ولكنّهم استطاعوا اغتياله بسهولة ويسر ،

مما يدلّ على أنّه كان يساوي نفسه برجاله ، ولا يتميز عليهم في شيء من المظاهر الخارجيّة ، التي يحاول أن يتميّز بها أصحاب السُلطة والحكم .

وكان يشاور رجاله في كلّ مايصادفه من مشاكل ومعضلات ، وبخاصة أولئك النفر من القادة والرؤساء الذين خلّفهم موسى مع ابنه عبد العزيز ، قبل رحيله عن الأندلس : وأوصاهم به خيراً ، وأوصاه بهم خيراً ، فكان عبدالعزيز ، عند حسن ظن أبيه موسى به ، في اعتماده على أولئك النفر وثقته بهم ، وركونه إليهم ، واستشارتهم في أموره العامة . ولكنّهم لم يكونوا عند حسن ظن موسى بهم ، إذ كانوا مع موسى ومع عبد العزيز يوم كانت الأيام مقبلة عليهم ، فلما أدبرت عنهم انقلب قسم منهم على عبد العزيز ، ودبّروا له المكايد ، وحاربوه بالاشاعات الملفّقة ، حتى اغتالوه وهو يصلّي في المسجد ، ففاز بالشهادة ، ولم يفوزوا بشيءٌ .

ولم تطل مدة بقائه قائداً عاماً بعد رحيل أبيه موسى عن الأندلس، لكي يتيسّر له الوقت الكافي لانجاز فتوح جديدة ، ولم تكن ظروفه الراهنة التي تحيط به وتؤثر فيه نفسياً ، مساعدة لابراز كفاياته قائداً لامعاً ، فلا يستطيع محلّل لقابلياته القيادية ، أن يجيب على تساؤل المتسائلين : هل كان عبد العزيز قائداً موهوبا ؟ هل كانت قيادتة تتّسم بمزية : الطبع الموهوب .؟

إنّ الفرصة لم تسنح له أن يثبت ذلك ، فمضى دون أن يأخذ حقّه كاملاً في هذه الحياة ، ومع ذلك فلا أحد ينكر عليه أنّه كان قائداً متميزاً ، كان بالامكان ان يلمع أكثر مما لمع ، وينجز اكثر مما أنجز ، لو طالت مدّة قيادته، وحسنت ظروف حياته ، ولكنّ الرياح جرت بما لاتشتهي السّفن ، والمرء مُقَدَّر لما خُلق له .

عبدالعزيز في التاريخ

يذكر التاريخ لعبد العزيز ، أنّه كانت الساعد الأيمن لأبيه موسى بن نُصَير فاتح شطر الأندلس ، في فتوحه الأندلسية .

ويذكر له ، أنّه فتح مناطق واسعة جداً في جنوبي وجنوب شرقي الأندلس ، وطهّر تلك المناطق من جيوب المقاومة القوطيّة .

ويذكر له ، أنّه فتح الشّطر الأكبر من البرتغال ، غربي الأندلس ، وفتح مدنها ، وقضى على جيوب المقاومة القوطيّة في أرجائها .

ويذكر له ، أنّه استعاد فتح إشْبِيلِيَة ولَبْلَة وباجَة من جديد ، ودحَر المقاومة القوطيّة التي استولت عليها بعد فتحها من المسلمين .

ويذكر له ، أنّه قضى على تهديد المقاومة القوطيّة لخطوط مواصلات قوّات طارق بن زياد وموسى بن نُصير في الأندلس ، وعلى جناحي تلك القوات الأيمن والأيسر ، مما أتاح لطارق وموسى التغلغل شمالاً في الفتح .

ويذكر له ، أنّه اغتيل ظلماً وعدوانا ، فنال باغتياله شرف الشهادة .

ويذكر له ، أنّه كان مجاهداً صادقاً ، وإداريّاً حازماً ، وكان يعمل بأمانة وإخلاص للاسلام والمسلمين ، مجاهداً وإدارياً ، دون كلل ولا ملل .

ويذكر له ، أنّه رحل وهو في ريعان الشباب ، فكأنه كان يغالب الزّمن ، ليخلّف من بعده ، مالم يخلفه الشيوخ فتحاً ومآثر وأمجاداً .

رحمه الله جزاء ما قدّم للعرب والمسلمين ، من خدمات لاتُنسى ، قائداً وفاتحاً وإدارياً وشهيداً .

لقد رحل عن هذه الدنيا ، ولكن آثاره في الأندلس وفي صفحات التاريخ ، لن ترحل أبدا .

الفهرس

الصفحة

الدكتور صالح احمد العلي
المعالم العمرانية في مكة المكرمة في القرنين الاول والثاني ٥

اللواء الركن محمود شيت خطاب
عبدالعزيز بن موسى بن نصير اللخمي فاتح شطر الاندلس ٥٦

الشيخ محمد حسن آل ياسين
ديوان الخبز ارزي (تحقيق) ٩٢

الدكتور احمد مطلوب
زيادة الالف والنون في النسب ١٣٧

الدكتور نوري حمودي القيسي
سلامة اللغة العربية بين التشريع والتطبيق ١٧٧

الدكتور علي محمد المياح
مناهج الجغرافيا الاقليمية عند العرب في التراث والمعاصرة ٢٠٠

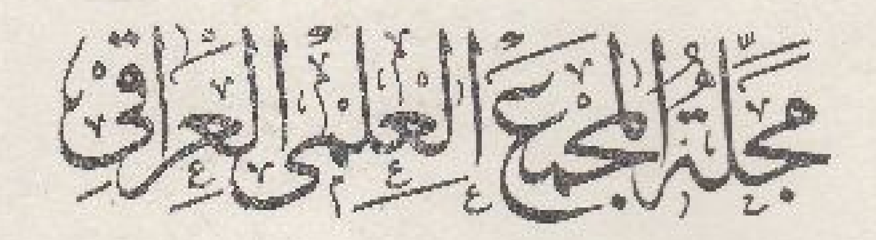
الدكتور حاتم صالح الضامن
ظاءات القرآن للسرقوسي (تحقيق) ٢٥٥

عرض الكتب

اللواء الركن محمود شيت خطاب
الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم ٢٧٤

انباء وآراء

الاعضاء المؤازرون ٢٩٥





الجزء الأول ـ المجلد الأربعون

بغداد

١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م